تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي سخَّر لهذه البلاد الطاهرة أبناء مخلصين لدينهم ثم لوطنهم، عملوا بجدٍ وتفانٍ لرفعة المملكة العربية السعودية والأمة العربية والإسلامية، وبرهنوا للعالم أجمع أننا شعب متمسكٌ بدينه ومحبٌ للخير والعلم والسلام.

إننا إذ نفاخر بهذه الإنجازات وهي ولله الحمد كثيرة لنتذكَّر أن الرسالة المحمَّدية نبعت من هذه الأرض الطيبة، الأرض التي قدَّمت للعالم أكبر إنجاز حضاري على مرِّ التاريخ، وعليها أشرقت شمس التوحيد على يد مؤسس هذه البلاد المباركة الملك عبدالعزيز طيَّب الله ثراه، ولعل أبناء وبنات الوطن يستقون من ماضيهم ويعتبرون من حاضرهم دروسًا تعكس حقيقة المواطن السعودي الشريف.

إن هذا الكتاب يُوثق إنجازًا طبياً كبيرًا نعتزُّ به، كما نعتزُّ بإنجازات كثيرة في هذا الوطن الغالي، ويؤكد عملاً إنسانيًا تتشرَّف به المملكة العربية السعودية، ونسأل الله لمن قاموا بهذا العمل التوفيق والنجاح ولهم منا الشكر والثناء.

عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود

تمهيد :

التوائم المتصقة أو (السيامية) معجزة حار بها العالم منذ مئات السنين، وتفاوتت ردود الأفعال إزاءها بين الأمم والشعوب، تباينت المواقف والأحاسيس نحوها بين نفور وفضول، رفض وقبول، إشفاق وتشاؤم، لين وقسوة؛ بل وصل الأمر عند بعض المجتمعات إلى نبذ الظاهرة وتصنيفها نوعًا من أنواع الجنِّ أو السحر كما حدث في أوروبا في القرون الوسطى.

وشكَّلت هذه الظاهرة تحديًا كبيرًا للمهتمين بالطب والجراحة منذ قديم الزمان، وأقلقت ـ على ندرتها ـ ممارستهم المهنية، استنفرت جهودهم ووسَّعت دائرة محاولاتهم لإيجاد حلٍّ لهذا النوع من الاتصال والالتصاق الغريب بين المواليد، ومن ثمَّ فقد تنوَّعت طرق وأساليب تعاملهم مع الظاهرة، وتعدَّدت أشكال العلاج عندهم بحسب موروثاتهم الثقافية والحضارية، فمنهم من عَمَد إلى جراحة بدائية على نمط القصابين في عمليات فصل التوائم، ومنهم من اجتهد في تطوير أسلوبه الجراحي.. ونتجتْ عن ذلك سلسلة من التجارب والخبرات الجراحية المختلفة التي تُوِّجَتْ في عصرنا الحاضر بمستويات متقدِّمة فتحتْ آفاقًا مهنية جديدة، وأشْرعتْ أبواب الآمال واسعة أمام الأطفال السياميين ليتأهلوا إلى حياة أفضل بإذن الله سبحانه وتعالى.

ولا بد من الإشارة في هذا المنحى إلى أن التاريخ الإسلامي لم يخْلُ من تجارب ومواقف مُشرِّفة في التعامل مع هذه الظاهرة، مواقف اقترنت بنظرة فاحصة ورؤية مُتمعِّنة مستهدفة الحفاظ على حياة المواليد، ومنطلقة من دوافع إيمانية خالصة وقاطعة بمبادئ هذا الدين الذي أعزَّ الله به الإنسان؛ هذا المخلوق الذي كرَّمه خالقُه عزَّ وجل وفضَّله على كثير من العالمين. واعتمادًا على هذا الإرث الثقافي وهذه القيم الإنسانية النبيلة؛ بذلت المملكة العربية السعودية جهودًا واسعة ومُقدَّرة في مجال الرعاية الطبية عمومًا؛ والعناية بهذه الظاهرة الخَلْقية الصعبة والمعقدة خصوصًا، والتي أضحت تحظى بنصيب وافر من اهتمام القيادة والجهات المختصَّة محلياً وعالمياً، ومن ثم فقد فُتح المجالُ أمام الأطفال المحتاجين ممن ينتمون لهذه الفئة من دول العالم على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ودياناتهم.. وحقَّقتْ جراحات التوائم السيامية التي اتسمت بمهنية عالية نجاحًا مشهودًا وسمعة كبيرة على المستوى العالمي.

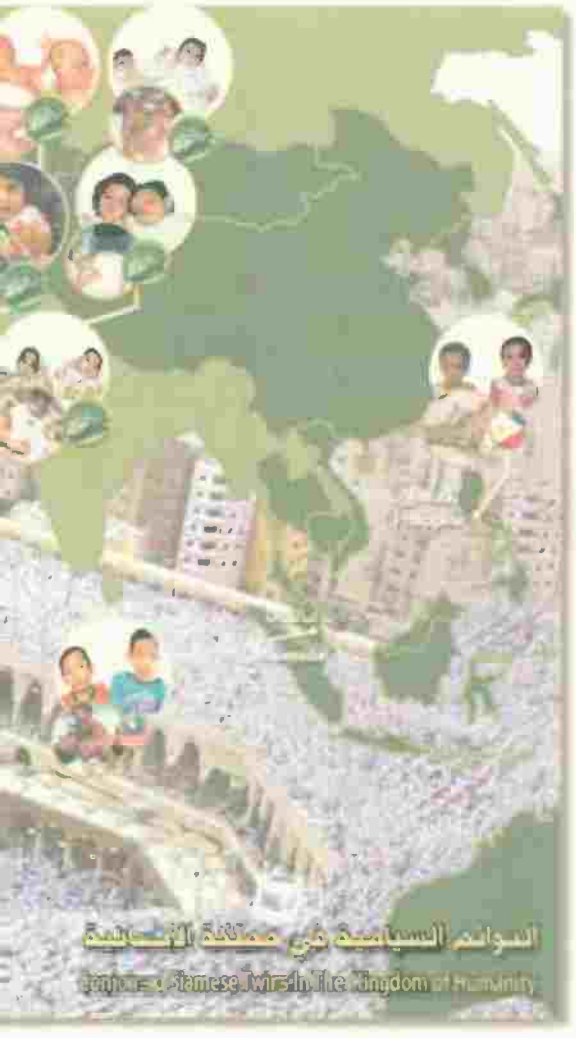

وبهذه الأريحية التي تتَّصف بها قيادتُنا الحكيمة؛ أصبح هذا الوطن أنموذجًا إنسانيًّا فريدًا تحكُم معاملاتِه وعلاقاتِه قيمُ التوادِّ والتراحم والتقارب والتعاون والإخاء، وهي مناقب وخصال نابعة من أصل الإسلام، ومن عُمق هذا الدين الذي جعل من المملكة منارة شامخة تهبُ الضياء والسِّلم والسَّلام للعالم، وأهَّلَها إلى أن يُجسِّد عن جدارة شعار: «السعودية مملكة الإنسانية». ولم يأت كلُّ هذا من فراغ؛ بل ارتكز على لبِنات وأسسٍ لأعمال جليلة قدَّمتها المملكة للإنسانية وشهد بها القاصي والداني، ولا غرو أن تصبح بذلك مرجعًا عالمياً مرموقًا وخبرةً ثرةً في مجال جراحة التوائم السيامية، وأن تكون بحمد الله تربةً خصيبةً لإحدى أكبر الخبرات الدولية الطبية باعتراف الأوساط والمحافل العلمية العالمية.

وإحقاقًا للحق؛ تلزمنا الإشارة هنا إلى صاحب الفضل بعد الله سبحانه وتعالى خادم الحرمين الشريفين عبدالله بن عبدالعزيز؛ فقد كان لدعمه ورعايته حفظه الله الدورُ الأساس والقِدْحُ المُعلَّى في رعاية هذه الخبرة الوليدة مما أهَّلها إلى تحقيق هذا التميُّز الوطني الرائد والفريد، إذ تبنَّى -أمدَّ الله - في عمره هذا المشروع وهو غَرْسةً طريَّة لم يشتد عودها بعد، وما فتئ يتابع مراحل نموه ونضجه عن قرب بصورة مباشرة ولصيقة تدفع وتُحفِّز على مزيد من الإتقان والتفاني، والحمد لله فقد عرفت أسرٌ عديدة من آسيا وأفريقيا وأوروبا مذاقَ ثمراته. وفي الوقت نفسه لم يكن وليُّ عهده الأمين صاحبُ السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز حفظه الله بمنأى عن هذا الإنجاز الوطني؛ بل ظل يرفد ويدعم مسيرته، ويمنحه كثيراً من وقته وجهده ورعايته حرصًا منه على تحقيق مزيد من التميُّز والبروز العلمي الذي يؤكِّد دور المملكة في كل المجالات؛ لاسيما الإنساني منها.

ولا بدَّ لنا من التنويه كذلك ببراعة ومهارة مجموعات منسجمة من جنود أوفياء سخَّروا علومهم ومعارفهم، ووظَّفوا كل طاقاتهم وأوقاتهم لوطنهم، ووهبوا له بتجرُّد ومشاعر صادقة جميع نجاحاتهم حتى وصل إلى العالمية علمًا وخبرة، وأعني زملائي وإخواني وأخواتي أعضاء الفريق الطبي والجراحي والكوادر المساندة.. فلهم من الجميع الشكر والعرفان.

وانطلاقًا من تجربتي في هذا المجال؛ رأيتُ أن من واجبي، ومن حقِّ الوطن عليَّ توثيق ما تحقَّق من نجاحات وإخراجَها بين دفَّتيْ كتاب أضعه بين يدي القارئ العربي؛ بل بين أيدي القراء كافة على اختلاف عقائدهم وثقافاتهم وأجناسهم وسحناتهم ومشاربهم، مؤكِّدًا في هذا الشأن على مقولة خادم الحرمين الشريفين عميقة الإشارة والدلالة: «إن هذا هو نجاح الأمة الإسلامية والعربية، وينسَب لهذه الأمة المؤمنة بدينها، والمحبة للسلم والسلام، والداعية إلى التآلف والتآخي والمحبة بين شعوب وأديان العالم أجمع»؛ محققين قول الله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس...﴾ آل عمران آية (١١٠).

وأشكر الله عز وجل الذي ألزمني جانب التوفيق في هذا المضمار الطبي الجراحي المعقَّد، فمنه كنت استمد عزيمتي، وبعونه أشحذ إرادتي وهمَّتي، وما هممتُ بإجراء عملية إلا وقصدتُه في بيته المحرم في رحابه الطاهرة مكة المكرمة، ألجأ إليه ضارعًا مُخبتًا متوسِّلا، وأدعوه دعاء المنكسر أن يُسدِّد خطاي ويكتب النجاة والصحة والعافية للتوائم سلوة وراحة لقلوب آبائهم وأمهاتهم وذويهم حتى يتمتع فلذات أكبادهم وحبَّات قلوبهم بحياة طبيعية مثل أترابهم وأقرانهم.. حياة خالية من المنغصات والإعاقات، وبعيدة عن فضول الناس وتدخلاتهم.

عبدالله بن عبدالعزيز الربيعة